

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]

✽ مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

المناسبة بين
التَّطْمِينِ
للمؤمنين وذكر
أهوال القيامة

بعد أن بيّن بشارة الملائكة للمؤمنين يوم القيامة بقوله: ﴿هَذَا
يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فناسب أن يبيّن هنا عظيم أهوال هذا
اليوم مقابل ما ذكر من تطمينات المؤمنين وبشارتهم؛ فناسب أن
يذكر طي السماء بما تضمّنته من أقدار، ومخلوقات، وكائنات، وما
يرافق ذلك من الأهوال العظيمة.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿كَطَيِّ﴾: الطّي: نَقِيضُ النَّشْرِ، طَوَيْتُهُ طَيًّا وَطِيَّةً وَطِيَّةً،
بِالتَّخْفِيفِ؛ الْأَخِيرَةُ عَنِ اللَّحْيَانِي وَهِيَ نَادِرَةٌ، وَحَكَى: صَحِيفَةً جَانِيفَةً
الطَّيَّةِ، بِالتَّخْفِيفِ أَيْضًا، أَيِ الطَّيِّ، وَحَكَى أَبُو عَلِيٍّ: طَيَّةً وَطَوَى كَكَوَّةٍ
وَكَوَى، وَطَوَيْتُهُ وَقَدْ انْطَوَى وَاطَّوَى وَتَطَوَّى تَطَوَّى⁽¹⁾، وَالْمُرَادُ بِ (طَيِّ
السَّمَاءِ) فِي الْآيَةِ: تَغْيِيرُ أَجْرَامِهَا مِنْ مَوْقِعٍ إِلَى مَوْقِعٍ أَوْ اقْتِرَابُ
بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ كَمَا تَتَغَيَّرُ أَطْرَافُ الْوَرَقَةِ الْمُنْشُورَةِ حِينَ تُطَوَّى
لِيَكْتُبَ الْكَاتِبُ فِي إِحْدَى صَفَحَتَيْهَا⁽²⁾.

(2) ﴿السِّجْلِ﴾: يُطْلَقُ عَلَى الْوَرَقَةِ الَّتِي يُكْتُبُ فِيهَا، وَيُطْلَقُ عَلَى
كَاتِبِ الصَّحِيفَةِ⁽³⁾، وَلَعَلَّهُ تَسْمِيَّةٌ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ مَحْذُوفٍ،
أَيِ: صَاحِبِ السِّجْلِ، وَقِيلَ سَجَلٌ: اسْمُ مَلِكٍ فِي السَّمَاءِ تُرْفَعُ إِلَيْهِ
صَحَائِفُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فَيَحْفَظُهَا⁽⁴⁾، وَفِي الْآيَةِ: أَنْ يُرَادَ بِالسِّجْلِ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (طوي).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 159 / 17 - 160.

(3) ابن سيده، للحكم: (سجل)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 159 / 17.

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (سجل)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 159 / 17.

الكَاتِبِ الَّذِي يَكْتُبُ الصَّحِيفَةَ ثُمَّ يَطْوِيهَا عِنْدَ انْتِهَاءِ كِتَابَتِهَا، وَذَلِكَ عَمَلٌ مَعْرُوفٌ، فَالْتَّشْبِيهُ بِعَمَلِهِ رَشِيقٌ⁽¹⁾.

(3) ﴿نُعِيدُهُ﴾: أَصْلُ (عَوْد) يَدُلُّ عَلَى تَشْتِيَةٍ فِي الْأَمْرِ، وَمِنْهُ الْعَوْدُ، قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ تَشْتِيَةُ الْأَمْرِ عَوْدًا بَعْدَ بَدْءٍ، تَقُولُ: بَدَأْتُ ثُمَّ عَادَ، وَالْعَوْدَةُ: الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ⁽²⁾، وَالْمَرَادُ بِالْعَوْدِ فِي الْآيَةِ: الرَّجُوعُ إِلَى شَيْءٍ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ، وَإِعَادَةُ الْخَلْقِ: إِعَادَةُ مُمَاتِلِهِ فِي صَوْرَتِهِ⁽³⁾.

(4) ﴿فَعَلِينَ﴾: أَصْلُ (فَعَلَ) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاثِ شَيْءٍ مِنْ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ، مِنْ ذَلِكَ: فَعَلْتُ كَذَا أَفَعَلُهُ فَعَلًا⁽⁴⁾، وَالْفِعْلُ: أَحْصَى مِنَ الْعَمَلِ، أَوْ كِنَايَةً عَنْ كُلِّ عَمَلٍ، مُتَعَدٍّ أَوْ غَيْرِ مُتَعَدٍّ، وَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ ﴿فَعَلِينَ﴾: أَنَّهُ تَعَالَى الْفَاعِلُ لِمَا وَعَدَ بِهِ، أَيْ الْقَادِرُ، وَالْمَعْنَى: (إِنَّا كُنَّا قَادِرِينَ عَلَى ذَلِكَ)⁽⁵⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ الْحَسَنَى لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي نَطْوِي فِيهِ السَّمَوَاتِ كَمَا تَطْوِي الصَّحِيفَةَ عَلَى الْكَلَامِ الْمَكْتُوبِ فِيهَا، وَكَمَا قَدَرْنَا عَلَى إِيجَادِ الْخَلْقِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، كَذَلِكَ نَقْدِرُ عَلَى إِعَادَتِهِمْ، فَنُبْعِثُهُمْ أَحْيَاءَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَنَحْشُرُهُمْ عَلَى مِثْلِ هَيْئَتِهِمْ حِينَ خَرَجُوا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ؛ حُفَاءً، عُرَاءً، غَيْرَ مَخْتُونِينَ، وَعَدْنَاكُمْ ذَلِكَ وَعَدًا حَقًّا عَلَيْنَا أَنْ نَفِي بِهِ، فَمِنْ شَأْنِنَا أَنَّنَا نَفْعَلُ مَا نُرِيدُ، وَنَسْنَعِلُ مَا وَعَدْنَا بِهِ لَا مُحَالَةَ⁽⁶⁾.

الإِعَادَةُ عِدَّةٌ مِنَ
الْحَقِّ تَعَالَى
كَائِنَةً لَا مُحَالَةَ
وَلَا بَدَّ مِنْ
تَحَقُّقِهَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 159 / 17.

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عود).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 160 / 17.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (فعل).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 158 / 17.

(6) ابن جرير، جامع البيان: 431 / 16، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 192 / 22، والبقاعي، نظم الدرر:

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

موقع آية ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ ودلالاتها:

هول يوم البعث
وأحداث القيامة

آية ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ قد تكون متعلقة بالآية قبلها، فيكون انتصاب ﴿يَوْمَ﴾ بِقَوْلِهِ ﴿لَا يَحْزَنُهُمْ﴾ أو بقوله ﴿وَتَتَلَقَّهُمْ﴾⁽¹⁾، فيكون المعنى لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السماء، أو: وتلقاهم الملائكة يوم نطوي السماء.

وقد تكون الآية استئنافية، والظرف ﴿يَوْمَ﴾ متعلقًا بقوله ﴿نُعِيدُهُ﴾؛ أي: نُعيدُه يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ، وقيل: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، وهو اذْكَرُ أو أعني⁽²⁾.

فائدة تكرار لفظ ﴿يَوْمَ﴾:

يوم اجتماع
النقائص

كرّر لفظ يوم في قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ بعد أن قال: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ لبيان أنه هو اليوم نفسه وهو يوم القيامة، وكذلك بيان عظيم الأهوال التي ستحدث في ذلك اليوم، والأحداث الكثيرة التي سيضمها ذلك اليوم، وفائدة ذلك أنه يومٌ تجتمع فيه النقائص، فهو يوم البشرى للمؤمنين، وهو اليوم المهول الذي تُطوى فيه السماء والأحداث والأقدار، وفي ذلك إشارة إلى شديد الحفاوة بالمؤمنين في يوم تجتمع فيه الأهوال بزوال الكون أو طيّه وتبديله.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِ(الطِّيِّ) دُونَ غَيْرِهِ:

الزّوال أو التّبدّل
بالطّيِّ

الطّيُّ: رَدُّ بعض أجزاء الجسم اللين المطلق على بعضه الآخر⁽³⁾، والطّيُّ ضدُّ النّشر، وقوله: ﴿كَطَيَّ السَّجَلِ﴾؛ هي الصّحيفة؛ أي: طيًّا كَطَيِّ الطّومار⁽⁴⁾، وقد أتى التّعبير بالطّيِّ في قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾ لتحقّق معاني معنى القدرة الإلهية في بيان تغيير السماوات وتبديلها.

(1) الشنقيطي، أضواء البيان: 6 / 865.

(2) السمين الحلبي، الدر المنثور: 8 / 208.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 17 / 159.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 88.

دلالة نون العظمة والمضارع في قوله: ﴿نُطَوَّى﴾:

في قوله: ﴿يَوْمَ نُطَوَّى السَّمَاءُ﴾؛ عبّر بنون العظمة ﴿نُطَوَّى﴾ مكان ضمير المفرد (أطوي) للدلالة على التعظيم والإجلال، وهذا يناسب من جهة أخرى سياق الآية وموضوعها، حيث ذكرت الأحداث المهولة العظيمة التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى وحده، وعبّر بالفعل المضارع الدالّ على الاستقبال تناسباً مع الإخبار بالغيب.

عظيم شأن
السموات
وعظيم شأن
طيتها

دلالة القراءات في قوله: ﴿نُطَوَّى﴾:

قرأ أبو جعفر بالتاء مضمومة على التأنيث وفتح الواو: ﴿نُطَوَّى﴾، وبرفع ﴿السَّمَاءُ﴾، وقرأ الباقر بالنون مفتوحة وكسر الواو ونصب السماء: ﴿نُطَوَّى السَّمَاءُ﴾⁽¹⁾.

قدرة الله
وعظمته في
تبديد الكون أو
تبديله بطيه

فعلى قراءة الجمهور تكون نسبة الفعل إلى نون العظمة؛ لعظمة الأحداث يوم البعث التي لا يقدر عليها إلا العظيم سبحانه، وكذلك لتناسب السياق؛ إذ قد نسبت الأفعال السابقة واللاحقة إلى نون العظمة: ﴿كُلُّ إِلَهٍ لِّنَا رَاجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 93]، ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [94]، ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِتًّا﴾ [الأنبياء: 101]، ﴿بَدَأْنَا﴾، ﴿نُعِيدُهُ﴾، ﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا﴾، ﴿كَتَبْنَا﴾.

وأفاد البناء للمفعول في قراءة أبي جعفر: ﴿يَوْمَ تُطَوَّى السَّمَاءُ﴾ التعظيم والدلالة على أنّ الفاعل معلوم، فهو وحده تعالى القادر على تبديل الكون أو تحويله بطيه، وقراءة البناء للمفعول متماشية مع سياق الآيات قبل ﴿مُبْعَدُونَ﴾، وبعد: ﴿تُوْعَدُونَ﴾، فمن أبعدهم عن جهنم هو الله، ومن وعدهم الجنة هو أيضاً الله؛ فهو سبحانه القادر على طي السماء.

بلاغة التشبيه في قوله: ﴿كُطِّي﴾:

تكشف الآية الكريمة عن ملامح تبدل السماء على طريقة التشبيه

(1) ابن الجزي، النشر: 2/ 324.

عظيم قدرة الله
تعالى فشدايد
الأمر أهون
عليه سبحانه

في قوله: ﴿نَطَوَى السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ﴾؛ أي: طَيًّا مثل طَيِّ الصَّحِيفَةِ على ما كتب فيها؛ أي: كَطَيِّ السَّجْلِ كائناً للكتب أو الكائن للكتب، فَإِنَّ الْكُتُبَ هِيَ الصَّحَائِفُ وما كُتِبَ فيها⁽¹⁾ وأفاد التشبيه تبسيطاً فهم قضية كونية كبرى اختصرت كثيراً من التساؤلات والأفكار في عبارة وتشبيه موجز، وفي هذا التشبيه كذلك إشارة إلى يسر ذلك الفعل على الله تعالى وسهولته كسهولة طَيِّ الكتاب.

جناس الاشتقاق بين ﴿نَطَوَى﴾ و﴿طَي﴾:

تجلية المعاني
بالتشبيه

في قوله: ﴿يَوْمَ نَطَوَى السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ﴾؛ فبين المصدر (طَي) والفعل المضارع ﴿نَطَوَى﴾ جناس اشتقاق أفاد تطابق وجه الشبه في أمور عديدة بين المشبه والمشبّه به، وهذا التطابق في هذا التشبيه أفاد تجلية المعاني العلمية.

دلالة اللام في قوله: ﴿لِلْكِتَابِ﴾:

يأتي طَي الكتاب
بعد إنهاء
الكتابة فيه

قوله: ﴿كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾؛ وقرئ ﴿لِلْكِتَابِ﴾؛ وهو إما مصدرٌ واللامُ للتعليل؛ أي كما يُطَوَّى الطُّومَارُ للكتابة، أو اسمٌ، فيكون تعليل الطَيِّ للكتب لاكتمال مهمتها، وانتفاء الحاجة من وجودها مفتوحة⁽²⁾ أو اللام في قوله: (للكتاب) لتقوية العامل فهي داخلة على مفعول (طَي)⁽³⁾.

دلالة القراءات في قوله: ﴿لِلْكِتَابِ﴾:

عظيم قدرة الله
تعالى فكل شيء
عليه هين

اختلفوا في قوله ﴿كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ في الجمع والتوحيد؛ فَقَرَأَ حَمَزَةٌ وَالْكَسَائِي وَخَلَفٌ وَحَفْصٌ ﴿لِلْكِتَابِ﴾ بِضَمِّ الْكَافِ وَالتَّاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ عَلَى الْجَمْعِ، وَقَرَأَ الْباقُونَ بِكَسْرِ الْكَافِ وَفَتْحِ التَّاءِ مَعَ الْأَلِفِ عَلَى الْإِفْرَادِ: ﴿لِلْكِتَابِ﴾⁽⁴⁾، ولما كان تعريف السَّجْلِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 730 / 3.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 88 / 6.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 159 / 17.

(4) ابن الجزي، النشر: 325 / 2.

وتعريفُ الكتاب تعريفَ جنسٍ استوى في المعرّفِ الأفراد والجمع، فأما قراءتهما بصيغة الأفراد ففيها التّناسب أو مراعاة النّظير في الصّيغة، وأما قراءة ﴿لِلْكَتُبِ﴾ بصيغة الجمع مع كون السّجل مفرداً ففيها حسن التّفنّن بالتّضادّ⁽¹⁾.

سرّ التعبير بالمفرد في ﴿السَّمَاءِ﴾:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ ذكر الواحد وأراد الجمع؛ لأن الطّي لا يختصّ بسما دون سماء؛ بل تُطوى جميعها لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ [النّهم: 67]، وفائدة التّعبير بالمفرد أنّها تُطوى جميعاً كما تُطوى الواحدة منها، فالله تعالى كامل القدرة؛ لا يُعجزه كثير ولا قليل.

السَّمَاء جنس
يُراد به الجمع

دلالة التّعبير بالكاف في قوله: ﴿كَمَا﴾ دون (مثل):

في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ تشبيهٌ للإعادة بالابتداء، في تناول القدرة لهما على السّواء، قال الرّمخشريّ: وأوّل الخلق إيجاده من العدم، فكما أوجده أوّلًا من عدم، يُعيدُه ثانيًا⁽²⁾ فالتّشبيه لبيان السّهولة وعدم التّعذّر⁽³⁾ وليس المعنى على إعادة مثل البدء⁽⁴⁾.

قدرته تعالى على
الإعادة كقدرته
على الابتداء

دلالة استعمال الفعل الماضي ﴿بَدَأْنَا﴾:

جاء التّعبير بالماضي ﴿بَدَأْنَا﴾ تحقيقاً للدّليل وتأكيداً ليُسّر الإعادة مستقبلاً، ولأنّ بدء الخلق قد كان في الزّمن الماضي وقد تحقّق وانقطع، بخلاف إعادة الخلق والبعثِ فإنّه أمرٌ مستقبليّ.

جعلناه خلقاً
مبدوءاً غير
مسبوق في نوعه

دلالة (ما) في قوله: ﴿كَمَا﴾:

قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا﴾؛ أي كالذي بدأنا؛ ف(ما) اسم موصول؛ أي: نعيد أوّل خلقٍ مماثلاً للذي بدأناه⁽⁵⁾، ويحتمل أن تكون (ما)

تعدّد
الاحتمالات التي
بدأ بها الكون

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 159 / 17.

(2) الرّمخشريّ، الكشّاف: 138 / 3.

(3) الألوسيّ، روح المعاني: 96 / 9.

(4) الألوسيّ، روح المعاني: 97 / 9.

(5) الألوسيّ، روح المعاني: 97 / 9.

مصدريةً، والمعنى: (نُعِيدُ أَوَّلَ خَلْقٍ إِعَادَةً مِثْلَ بَدَائَتِهَا لَهُ) (1)، ويحتمل أن تكون كافةً (2)، جَوَزَتْ دخول حرف الجرِّ (الكاف) على الفعل الماضي ﴿بَدَأْنَا﴾، ويكون المعنى: (نُعِيدُ الْخَلْقَ كَبَدْنِهَا لَهُ).
ثم إنَّ بناء (ما) يوافق الاتِّساع في المعنى، من إفادة الإبهام والتَّعظيم، فإنَّ مدَّة الألف المتَّسعة في آخرها تُشاكل الاتِّساع في معناها (3).

دلالة التشبيه في الآية:

قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾؛ أي نعيده كما بدأناه أول مرة، و﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾؛ "مفعول ﴿بَدَأْنَا﴾ والمعنى: (نُعِيدُ أَوَّلَ خَلْقٍ إِعَادَةً مِثْلَ بَدَائَتِهَا لَهُ)؛ أي: (كما أَبْرَزْنَاهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ نُعِيدُهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ) (4)، فالكاف نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ أي: نُعِيدُهُ عَوْدًا مِثْلَ بَدْنِهِ (5) وأفادت كاف التشبيه في قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ أنَّ إعادة خلق الأجسام شُبِّهَتْ بِابْتِدَاءِ خَلْقِهَا، ووجه الشَّبه هو إمكانيُّ كليهما والقدرةُ عليهما وهو الَّذي سيق له الكلام على أن التشبيه صالح للمماثلة في غير ذلك (6) والكاف مكشوفة بـ (ما)، والمعنى: (نُعِيدُ أَوَّلَ الْخَلْقِ كَمَا بَدَأْنَاهُ) تشبيهاً للإعادة بالابتداء (7).

دلالة التعبير بالأوَّلية في قوله: ﴿أَوَّلَ﴾:

دلَّ قوله: ﴿أَوَّلَ﴾ على لحظة بدء الخلق، فالقادر سبحانه الَّذي خلق الخلق أوَّلَ مرةٍ ولم يكن هناك شيءٌ؛ هو القادر على إعادته كما بدأه، و﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ ظرفٌ لـ ﴿بَدَأْنَا﴾ أو حالٌ من ضمير الموصول المحذوف (8)، أو مفعولٌ به للفعل ﴿بَدَأْنَا﴾.

قدرة الله
العظيمة على
إعادة الخلق

القدرة على
الإعادة كالقدرة
على البدء الأوَّل

(1) السمين الحلبي، الدر للصون: 211 / 8.

(2) السمين الحلبي، الدر للصون: 211 / 8.

(3) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد: 131 / 1.

(4) أبو حيان، البحر للحيط: 427 / 7، والسمين، الدر للصون: 211 / 8.

(5) السمين، الدَّر للصون: 211 / 8.

(6) القزويني، الإيضاح، ص: 164.

(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 191 / 22.

(8) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 88 / 6.

دلالة التعبير بالمضارع ﴿نُعِيدُهُ﴾:

قوله: ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾؛ فقد دلّ الفعل المضارع على الاستقبال تنصيصاً؛ لورود قرينة في السياق تدلّ على الاستقبال، وهو ظرف ﴿يَوْمَ﴾ الذي هو يوم القيامة، والسياق بمجمله يدلّ على أحداث يوم القيامة.

إعادة الخلق
يوم القيامة

بلاغة التقديم والتأخير في الآية:

وقد رُتّب نظم الجملة على التقديم والتأخير لأغراض بليغة، وأصل الجملة: (نعيد الخلق كما بدأنا أول خلق يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعداً علينا)، فحول النظم، فقدّم الظرف للتشويق إلى متعلّقه، ولما في الجملة التي أضيف إليها الظرف من الغرابة، ومن دواعي هذا التقديم والتأخير انسجامه مع التقديم والتأخير في بدء الكون وإعادته وطّيه، وكأنّه قد لُفّ النظم تبعاً وانسجاماً لمعنى لفّ الكون، وقدم ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ وهو حال من الضمير المنصوب في ﴿نُعِيدُهُ﴾ للتّعجيل بإيراد الدليل قبل الدّعى لتمكّن في النفس فضل تمكّن، وكلّ ذلك وجوه للاهتمام بتحقيق وقوع البعث⁽¹⁾.

لَفَّ النَّظْمِ
انسجاماً مع لفّ
الكون

دلالة التعبير بالوعد في قوله: ﴿وَعَدًا عَلَيْنَا﴾:

الوعد يكون في الخير والشر؛ يُقال وعد يَعدُّ بالكسر وعداً، قال الفراء يُقال: وعدته خيراً ووعدته شراً⁽²⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: 22]، ﴿أَقْمِنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ [القصص: 61]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الثّاء: 9]، وأما التعبير بالوعد في قوله: ﴿وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ فهو خير للمؤمن شرّاً على الكافر؛ إذ عبّ على خبر طي السماء بما يفيد تحقّق حصول البعث من

وعد الآخرة خير
للمؤمن شرّاً على
الكافر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 158 / 17.

(2) الزّازي، مختار الصحاح، ص: 740.

كونه وعدًا على الله بتضمين الوعد معنى الإيجاب، فعُدِّي بحرف (على) في قوله: ﴿وَعَدًا عَلَيْنَا﴾؛ أي حقًا واجبًا⁽¹⁾.

دلالة تعدّي الوعد بـ (على) في قوله: ﴿عَلَيْنَا﴾:

قوله: ﴿وَعَدًا عَلَيْنَا﴾: فقد تعدّى الوعد بـ (على)؛ ولم يقل وعدًا من عندنا فدلّ على استعلاء وقوع ذلك الأمر على كلّ أمرٍ دونه، فهو الوعد بقيام الساعة وبعث النّاس توكيدًا للمخاطبين بلزوم مجيء يوم القيامة وإعادتهم بأجسادهم وبعثهم للحساب، وللدلالة على تحقّق حصول البعث من كونه وعدًا على الله بتضمين الوعد معنى الإيجاب، فعُدِّي بحرف (على)؛ أي حقًا واجبًا⁽²⁾.

سرّ فصل جملة ﴿إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾:

في قوله: ﴿وَعَدًا عَلَيْنَا﴾ فقد ضمن الوعد معنى الإيجاب؛ أي: الفعل، ثمّ أكّد بقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾، فجاءت هذه الجملة واقعةً موقع التأكيد للتي قبلها، فبين الجملتين كمالُ اتصالٍ غرضه التأكيد على تحقّق الوعد الإلهي بالمعاد.

دلالة التأكيد بقوله ﴿إِنَّا﴾:

جاء التوكيد في ﴿إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾ بحرف التوكيد ﴿إِنَّا﴾ لتنزيل المخاطبين منزلة من يشكّ في قدرة الله أو يُنكرها؛ لأنّهم لما نفّوا البعث بعلّة تعذر إعادة الأجسام بعد فنائها، فقد لزمهم إحالتهم ذلك في جانب قدرة الله تعالى⁽³⁾، وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾؛ أي سنفعل ذلك لا محالة، وهو تأكيد لما ذكره من الوعد⁽⁴⁾.

سرّ ذكر فعل الكون ﴿كُنَّا﴾:

من دقائق التّعبير القرآنيّ استعمالُ الفعل الماضي ﴿كُنَّا﴾،

هيمنة الله
تعالى وقدرته
على تحقيق
الوعد

الوعد والفعل
متلازمان في
الآية

وعد الله واقع لا
محالة

اتصاف الله
تعالى بالكمال
منذ الأزل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 158 / 17.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 158 / 17.

(3) الآلوسي، روح المعاني: 103 / 17.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 192 / 22.

واسم الفاعل ﴿فَعْلِيلَيْن﴾ بدلاً من الأفعال الدالة على المستقبل كـ (سنفعل ذلك)؛ والغرض من ذلك تنزيل المستقبل منزلة الماضي، فإنَّ الأزمان عند الله كلها سواء، وفيه كذلك إخبارٌ باتصاف الله تعالى بكامل القدرة والتَّصرُّف منذ الأزل.

وفي ذكر فعل الكون إفادة أنَّ قدرته قد تحقَّقت بما دلَّ عليه دليل قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (1).

دلالة التعبير بـ ﴿فَعْلِيلَيْن﴾ دون (قادرين):

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَعْلِيلَيْن﴾؛ فقد عبّر بالفعل دون القدرة؛ لأنَّ ﴿فَعْلِيلَيْن﴾ تدلُّ على القدرة مع الإنجاز، وهو على خلاف (قادرين)؛ التي قد تكون قدرةً مجردةً عن إنجاز الفعل، فلا يكون معها إنجازٌ للفعل.

دلالة القدرة مع
الفعل والإنجاز

دلالة توالي المؤكِّدات في قوله ﴿إِنَّا كُنَّا فَعْلِيلَيْن﴾:

اجتمعت ثلاثة مؤكِّدات في هذه الآية؛ وهي (إنَّ)، والفعل الناسخ (كان)، والجملة الاسميَّة التي دخلت عليها (كان)، وأفاد توالي المؤكِّدات إبرازَ عظيم قدرة الله تعالى على ذلك الفعل العظيم؛ وهو إعادة الخلق كما بدأه، وذلك ممَّا لا يقدر عليه أحدٌ سواه، ولا يدعي أحدٌ قدرته عليه، وأفادت كذلك تهديدَ مَنْ أنكر قدرة الله تعالى على إنجاز هذا الوعد، وجاء التَّهديدُ من تأزُّرِ هذه المؤكِّدات الدالة على تحقُّق الوقوع يقيناً.

قدرة الله في
خلق القوى
والقوانين
وإعادتها

دلالة حذف متعلق ﴿فَعْلِيلَيْن﴾:

دلَّ الحذف في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَعْلِيلَيْن﴾؛ على القدرة المطلقة في فعل أيِّ شيء، ففي حذف المتعلِّق دليلٌ على العموم الدالُّ على القدرة المطلقة.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 158 / 17.

❁ الفروق المُعْجَمِيَّة:

البعث والإعادة:

الإعادة للكون
كله والبعث
للأحياء

بعثُ الخلق اسْمٌ لإخراجهم من قُبُورهم إلى الموقف ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: 52]⁽¹⁾، وأصل البعث: إثارة الشيء وتوجيهه، قال تعالى: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 36]؛ أي: يخرجهم وَيُسَيِّرُهُم إلى القيامة، فالبعث إحياء الموتى، والإعادة: العودُ: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصرافاً بالذات، أو بالقول والعزيمة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [الأنعام: 107]، والظاهر أنَّ الإعادة تكون في الأحياء والجمادات، والبعثُ يكون في الأحياء.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 289.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 34، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-76-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 34: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-76-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النजार»